مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية – جامعة بابل

الذاكرة الثقافية والدينية في روايات سواقي القلوب وطشاري والحفيدة الامريكية

أ.م. د. اوراس سلمان كعيد السلامي
جامعة القاسم الخضراء / كلية الزراعة

Cultural and religious memory in the novels Swaqi al-Qalb, Tashari and the American Granddaughter

Asst. Prof. Dr. Oras Salman Kaid Al-Salami
Al-Qasim Al-Khadra University / College of Agriculture
uras.salmn@agre.uoqasim.edu.iq

الملخص:

جاءت الدراسة بعنوان: (الذاكرة الثقافية والدينية في روايات سواقي القلوب وطشاري والحفيدة الامريكية)، والتي تتمثل في مقدمة وتمهيد ومبحث اول، ومبحث ثاني، وخاتمة البحث وقائمة المصادر والمراجع، أما التمهيد فكان بعنوان :مفهوم الذاكرة الثقافية والدينية عند القارئ في ضوء النقد الأدبي الحديث، دراسة نظرية تطبيقية في روايات سواقي القلوب ، وطشاري والحفيدة الامريكية، ولمحة تاريخية في الفكر العربي والغربي، أما المبحث الاول فكان بعنوان: المبحث الاول :تذكر المواقف الدينية والثقافية في روايات سواقي القلوب ،وطشاري والحفيدة الامريكية . أما المبحث الثاني فكان بعنوان: تذكر الشخصيات الدينية والثقافية في روايات سواقي القلوب، وطشاري والحفيدة الامريكية، وخاتمة البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة العربية والانجليزية

Abstract

The present study deals with the analysis of cultural and religious memory in the selected novels Swaqi Al_Qolub, Tashara and the American Grandmother. It consists of introduction, the first part, the second part, the conclusion of the study and the references. The introduction deals with the concept of the cultural and religious memory according to the reader in the light of the modern literature criticism, a theoretical and practical investigation for the selected novel Swaqi Al_Qolub, Tashara and the American Grandmother and then a theoretical overview regarding the Arabic and western thinking. The first part also deals with the religious and cultural aspects in the selected novels. The second part deals with the religious and cultural figures in the selected novels, the conclusions, references snd then English and Arabic abstracts

مفهوم الذاكرة الثقافية والدينية

يتمتع النص الثقافي بحكم نشـــاطيته وانتمائه الثقافي بإقامة ســـلســـلة من العلاقات مع مفاهيم الثقافة ومجالاتها وأنظمتها المعرفية ،وينطبق الأمر ذاته على النص الروائي، إذ يقيم علاقات مع العديد من مجالات الثقافة ومفاهيمها كالتاريخ، ومنذ القدم، كانت هناك علاقة وثيقة بين النثر والتاريخ، فالمُســـلّمة التي تم تأكيدها هي أن للســـياقات التاريخية والثقافية حضـــورها الواضح في تشكيل النصوص ؛وذلك عبر التداخلات العديدة التي تكون بين ما هو أدبي وما هو تاريخي وثقافي بمعناه العام، فالتاريخي والثقافي يؤثر في الأدبي ويترك بصـــماته عليه، فإذا كان هناك أمر لا يمكن اسـتبعاده مطلقاً ضـمن علاقة النص بالبنيات التي تقع خارجه، فهو اسـتلهام مواد التاريخ كالأحداث والوقائع والرموز وتســـجيلها وتوظيفها في بنية النص الأدبي كما و حظي القيم الدينية هي واحدة من اهم مؤثرات التجربة النثرية اذ ظهر الموروث الديني ماثلا في تجارب الروائيات العراقيات وكذلك ظل ماثلا في رواد العراقين اذا انصـــهر هذا الموروث في مضـــامين الروايات العراقيات وامتزج بأفكارهن وذاب في اخيلتهن.[١]

والروائيات العراقيات اللاتي لمعت تجربتهن النثرية بالموروث الديني ولاسـيما بالنص القراني على الرغم من مرجعيته الدينية المسيحية.

كما ان مفهوم التاريخ بمقاربات عديدة كالتي نجدها في الميدان الفلســـفي عند أفلاطون وأرسطو وفيكو وماركس، ومقاربة النقد الأدبي عند سانت بيف وهيبوليت تين وبرونتير وغوستاف لانســون وباختين، والمقاربة الســيميائية الثقافية التي تتكأ على ما ســبقها من فكر علمي قام به مجموعة من الفلاســفة التاريخيين كفيكو وكارل ماركس، وما ا زد من إثراء هذه المقاربة هو قيام مجموعة من النقاد المابعد بنيويين من ذوي المعرفة الموسـوعية بدراسـة الثقافة والتاريخ من وجهة نظر ســيميائية ولغوية، كيوري لوتمان وأمبرتو إيكو ومؤســس الفكر التاريخاني الجديد ســتيفن غرينبلات وغيرهم. إن هؤلاء الفلاســفة التاريخيين والنقاد الما بعد بنيويين وبعض من ســبقهم لم ينظروا إلى التاريخ على أنه)سـجل بما حصـل أي أرشـيف أحداث وانما من منطلق سـيميوطيقي باعتباره مجموعة من العلامات الدالة والعلامات النســـقية، أي له نظامه وقواعده وأجروميته[٢]، فهو ليس مجرد ســـجل لمجموعة أحداث تاركمت عبر الزمن، بل مجموعة من العلامات الدالة، التي هي جزء من نظام العلاقات الاجتماعية، وهو في كليته عبارة عن حقل دلالي ونسيج تحوكه الأوضـــاع الاجتماعية، وبالتالي، فالتاريخ نص دال يتجســـد ســـيميائياً في العلامات اللغوية، فقد انطلق فيكو في دراسته للتاريخ من علم اللغة؛ لمعرفة جذور الكلمات ودلالاتها وارتباطها بالأنظمة

الاجتماعية المختلفة فاللغة هي الشـاهدة على عادات الشـعوب وظروفها وتقاليدها وممارسـاتها وقيمها، إذ)تعكس مظاهر الحياة الاجتماعية للشعوب وتكشف عن الحياة العقلية ونوعية الأفكار المنتشـرة فيها[٣](، وهي كالعادات من حيث كونها أجوبة تطلقها المجموعة الاجتماعية عن المحيط الذي تعيش فيه)[٤]

(وذهب ماركس إلى أن مشـاكل الصـراع الطبقي تنعكس على مسـتوى التمثيل في الممارسـات التمثيلية لأنظمة البناء الفوقي، وليس ببعيد عن هذا، ما ذهب إليه باختين بوصـفه للعلامة أو الكلمة بأنها)المؤشر الأكثر ملموسية لكل التحولات المجتمعية[٥] وعلى هذا، يتوفر في النصـوص الأدبية التاريخ والدينية وعلى هذا، يتوفر في النصـوص الأدبية التاريخ وحيثياته؛ لأنّ هذه النصـوص وليدة ظروفها التاريخية والثقافية والدينية وأوضـاعها الاجتماعية، وهي غير مفصولة عما يقع خارجها، ولهذا، تأخذ مسألة الربط بين النص وخارجه أهميتها في هذه المقاربة، إذ إن هذه النصـوص هي نصـوص ثقافية من حيث إشـارتها إلى ما وراء عالمها، واسـتيعابها للسـياقات والقيم الاجتماعية التي أنتجتها، فهي بكل الأحوال، تتضـمن بشـكل مباشـر أو غير مباشـر تلك السـياقات والقيم) [٦]وبحسـب لوتمان، فإن ق ارءة النص قراءة تاريخية يجب أن تضبطها الإجراءات النصية في كل أبعادها البديهية والمنطقية حتى يتسنى فهم المعنى التاريخي الذي تضـمنته)[٧] (، فهناك معنى تاريخي يتجلى في ما هو نصـي أو شـعري، وان كانت عملية التجلي هذه تتم بطريقة غير حرفية، أي فنية، تسعى لتحقيق غاية جمالية خاصة، تبعدها عن كل أشـكال التجلي الأخرى كالتي عند المؤرخ، حيث يكون خطاب الأول جمالي يكون خطاب الثاني تـاريخي، وهـذا مكمن اختلاف طريقـة تمثيـل التـاريخي عنـدهمـا. وبنـاء على هـذه المعطيـات المسـتوحاة من المعرفة التاريخية والثقافية والذاكرة الثقافية الدينية ، يتم البحث عن نوعية الحدث التاريخي والديني واعادة بناءه وانتاجه في الرواية، وعلاقته بعمليات التبنين التاريخي ونوعية العنصر الذاكراتي المستحضر واقعي أم أسطوري، ماضوي أم آني، وانتمائه الثقافي إلى الفضاء الداخلي أم إلى الفضـاء الخارجي، ومن هنا، فإن الحديث عن التاريخ والدين وأشـكاله والذاكرة ومتعلقاتها قد يكون متشعباً جداً، الا انه يمكن أن نحصره في المحاور الآتية:

المبحث الاول: تذكر المواقف الثقافية والدينية في روايات سـواقي القلوب وطشـاري والحفيدة الامريكية:

إن الأحداث والوقائع ورموز يعرّف التاريخ بأنه: مجموعة من الحوادث أو الوقائع التي حصـلت في وقت مضـى في مكان ما يخص جماعة ما، ونحن نعتمد هنا التعريف التقليدي

للتاريخ ابعاداً لمسائله الشائكة ووجهات نظره المتعددة، وعلى العموم، فإن التاريخ يرتبط بالماضي وما وقع فيه ،والحاضر وما يجري به وهو ما يعرف بالتاريخ الآني ولكل إنسان تاريخ يرتبط به، كأنه جذره الذي انحدر منه، وهو بالتأكيد الشيء الذي لا يمكن نسيانه)[٨]، ولأنّ الإنسان يعيش ضمن بنية زمانية مكانية، فإن هذا الوضع سيعطي كل جماعة حوادثها الخاصة التي حدثت في مكانها وزمانها، وكلا النوعين –يتضمنان ما يعرف بمواد التاريخ) الأحداث والوقائع والرموز التي هي علامات دالة على الثقافات وما أصابها من صراع تاريخي وديني وثقافي، وليس من السهولة عدم العناية بهذه العلامات، التي هي دوال على حياة الأمم والشعوب والثقافات، فهي ترتبط بماضيها ارتباطاً شديداً، وعلى أساسها تتوجه رؤية المستقبل الذي هو غير منقطع عن الماضي والحاضر يتسم المحتوى التاريخي الذاكرارتي في كل ثقافة بالاتساع، وعلى وفق المبدأ الاثناني، فإن هذا المحتوى أما يكون خاصاً – بالفضاء الداخلي للثقافة أو بالفضاء الخارجي للثقافة، والروائية بوصفها جزءاً من القائمة بعملية التمثيل الثقافي للمجموعات الاجتماعية فإنها تستند على ماضيها المشترك وعلى غير ماضيها أيضاً، وعلى أساس ذلك، يتم استحضار جزءاً منها إلى النتاج الثقافي المعبّر عن الوضع الخاص بهن، ومن هذا المنطلق، تضمنت الرواية العديد من المواد التاريخية والدينية التي ما جيء بها كنصوص تاريخية ودينية الا لتأكيد فاعلية الماضي في تشكيل الحاضر، لكن كيف يشكل الماضي جزءاً من الحاضر ورؤيته؟ هنا تبرز المسألة المركزية وهي إعادة إنتاج أو تمثيل الماضي، أي أن ما حدث كيف يعاد في وقت تال لوقت وقوعه؟ واستطاعت الروائية العراقية (انعام كجه جي) أن تسم لغتها النثرية بسمات خاصة نتيجة لتلون المواقف والموضوعات والتجربة الذاتية للروائية ، فأصبحت النص بالنسبة إليها "عملية ، وفي كل هذا شيء من مادةٍ تختلط فيها الحياة باللغة، ويتزاوج فيها المعنى والبنى[٩] ولغوية و شعرية النص تعتمد على مخزون الثقافي التي تستمد مادتها بالدرجة الأولى من البيئة، فأبرز ما يميز لغتها و أن عامل البيئة يمثل الحجر الأساس لها، وعند استقرائنا لنصوصية الروائيات لاحظنا أن دراسة معجمها النثري يتطلب الوقوف على أهم المؤثرات الخارجية وانعكاساتها على لغتها النثرية؛ لأن الألفاظ تحمل سمات البيئة والمجتمع وتعبر عنهما، وتجربة الروائيات الذاتية انعكست على لغتها، فوجدناها تكثر من الألفاظ والتعبيرات التي تتعلق بالبيئات التي ارتادتها وطبيعة العيش فيها وعلاقتها بها، فاعتمدت لغتها الادبية لديها على توظيف كل من الريف والمدينة لدلالات رامزة وموحية تتعلق بموقفه من هذه التجربة، فأصبحت نصوصها ذا طبيعة قروية يضم (النخل، السعف، الكرب، التمر، الجذع الطين الحندقوق الكوز، البردي،

القش، اليقطين البساط، الغدير الرياح، النهر، الهور العصفور اللقلق، البط...)، وذا طابع مدني يحمل مفردات كـــ المقهى البار الباص المترو المطار، المسرح، الفندق الشارع الملهى المرقص، الفالس البحار، البجع، النورس... فضلاً عن المؤثرات التي اكتسبها الشاعر من المدينة المركبة، فأصبحت لغتها مستمدة من هاتين البيئتين وتأثيراتهما قبل أي شيء؛ لذا سنحاول الكشف عن نقاط التحول والتجدد في توظيف الكاتبة ذاكرتها الدينية في التعامل مع البيئة في النص الروائي من خلال دراسة التحولات في المستويات اللغوية للكاتبة بين وسطين مختلفين اجتماعياً وثقافياً، ومدى انعكاسات ذلك الاختلاف الوسطي بيئياً وسلوكياً على لغتها وأساليبها[١٠].ومن تلك النماذج الروائية اذ تقول انعام كجي جه:

أماعن يهود العراق فقد تتطرق لها بشكل بسيط في الرواية النسائية العراقية– موضع البحث– لطبيعة العادات والتقاليد الدينية المتبعة في الديانة اليهودية، لأن ذلك يتطلب وجود اجتماعي مستقر لليهود في العراق لتتحدث عن معتقداتهم لكنهم هاجروا من العراق قسراً بعد احتلال فلسطين تأسيس الكيان الصهيوني الاسرائيلي، في رواية طشاري، تقول وردية: عن أوضاع اليهود في العراق، وهي كانت في السنة الأولى في كلية الطب، أي كانت " في سنة تسقيط الجنسية عن اليهود. من يرغب منهم بترك البلد فليذهب حيثما يشاء شرط الا يعود الى هنا. وفي تلك السنة لم يقبل أي طالب يهودي. أما من كانوا في الصفوف المتقدمة فواصلوا الدراسة في أجواء من الجدل والاحتدام والصراع الذي يدور خارج الصفوف" [١١]، وعبرت عن ترابط النسيج الاجتماعي العراقي الذي فككته الصراعات السياسية، تقول:" أحب اليهود موطنهم الذي وفر لهم عيشة طيبة وكانوا يعرفون ان التوراة كُتب في بابل، ولم تكن الصراعات السياسية قد افسدت النسيج الاجتماعي البغدادي. تأتي زميلاتها المسلمات واليهوديات لمعايدتها في عيد القيامة. يجلسن في غرفة الخطار مثل الكبار. يشربن الشاي ويأكلن الكليجة" [١٢].

وهاجر ابو يعقوب وعائلته اليهودية الذين ساندوا وردية عندما اتت الى الديوانية بقوا في الديوانية حتى أواخر الستينات، لكن بعد نصب المشانق للجواسيس اليهود قرر مغادرة العراق ولم ينتظر ما هو أدهى، هاجر الى لندن ومن ثم الى إسرائيل [١٣].

لقد وردت في روايات انعام كجه جي كثير من الاشارات القرآنية والالفاظ والعبارات والقصص القرآنية لكن هذا لم يلغِ تأثرها في الكتاب (المقدس) فقد وردت في روايتها اشارات مهمة الى الكتاب المقدس. وأكبر ظني ان الروائية قد نجحت في الاستفادة من ايحاءات النص الديني ودلالته في تعميق مضمون الرواية لديها.

وترتكز رواية ســـواقي القلوب وهي الاولى الى الالماع المرجعي الديني فقولي يا مريم رقماً ، يصلح للحب ، وللكلمات الاطيب قلباً ...

والسرِّ المتردد بين اثنينْ ...لا تأتمني احداً للشفتينِ[١٤]

وان تســـمية(مريم) من المعتقد الديني المســـيحي كانت موجودة في العراق وهو ما نراه يظهر بصورة او باخرى لكنه هنا جاء مباشرا ليكون الاسم صريحاً دالاً على معتقده الديني حيث نراه في الروايات لا ينتمي الى دين محدد بل يعتمد الشعائر ، وتصويرها في النص لتكون صوراً من الصـور الايمائية لكننا لو نرى ان اسـم مريم يشـتغل في منظومة الاسـماء العراقية الدلالة على القدسية وكما يمتلكه هذا الرمز الديني المشترك .

ونجد إن زيارة الأضرحة (أضرحة الأولياء الصالحين) في الثقافة الدينية الشعبية بمثابة قصصاً تروي أخبار الأولياء التي يؤمن بها المجتمع العراقي ويحفظها ويورثها للأجيال القادمة، ما يضـمن لها البقاء والاسـتمرارية وتحولها الى مخيلة جمعية، يشـيع فيها فكرة أسـاسـية فحواها أن الأولياء لهم قدرات عجائبية قادرة على شـــفاء المرضـــى وتحقيق الامنيات والاحلام لذلك على المجتمع شكرهم واكرامهم، وعلى هذا الأساس نجدهم يزورون الأضـرحة ويطلبون منها أمنياتهم، كما يقومون بمجموعة من الطقوس منها المسح بالإيزار الأخضـر والدوران حول الضـريح ومسـح الملابس وكل ما هو جديد مثل ملابس العروس الجديدة والمولود الجديد بضـــريح الولي للتبرك، وتوزيع الطعام ونحر الحيوانات ايفاء للنذور التي قطعوها للولي لأنه حقق مرادهم، وهذا ما تصـفه رواية سـواقي القلوب تصـف النسـاء اللواتي دخلن الحضـرة القادرية لزيارة عبد القادر الكيلاني، وجوههن ريانة بعباءات حرير تخشخش خلاخيلهن الذهب في كل خطوة، وقريباتها وهن يطفن في أزقة الكاظمية العتيقة بين بيوت ذات شـــرفات وشـــناشـــيل، يوزعن هبا النذور والحلوى على المتســـولين عند باب الدروازة وباب القبلة، ورجال بأثواب طويلة وعباءات صـــوف نجفيه رقيقة محلاة بتطاريز من أسلاك الذهب تتدلى على أكتافهم تحت الكوفيات يحيطون بشاب يضع عباءة بيضـــاء يطوفون به حول الضـــريح، وعروس جاؤوا يباركون جهاز عرســـها في مرقد الكاظمين، نساء مسنات يدعكن أساور ذهب العروس على شباك الضريح الفضي متبركات [١٥]. بيد أن هناك أماكن ترددت في المقطع تحمل الدلالة ذاتها متمثلة متمثلة بـــ (مرقد الكاظمين) وهذا الاستدعاء يدفع المتلقي الى قراءة المرجعية الدينية قراءة أكثر تحديداً كونها توحي الى الحاضـنة الدينية التي تنتمي اليها الروائية (يا امهاتنا.. اصـــنعن لنا تمائماً ... من النذور والشـــموع والدما..واقطعن بالصلاة الليل والنهارْ[١٦]

ونرى ان التقاليد الشـعبية والدينية التي تتمثل في صـنع التمائم والتعاويذ التي كثيرا ما تعمل من كتابات وآيات وأدعية دينية تخاط مع ملابس الطفل وتعلق بدبوس خاصـة ، كان لها اثرها البارز في خلق ذاكرة دينية عند المرأة ونظراً لما لهذه المعتقدات عن علاقة جوهرية مع المرأة حصـرا ، ونرى ان طريقة الشموع المستخدمة في النص شموع الكنيسة شموع القاسم (عليه السلام) الطافية في وضـعها على ضـفاف النهر وتسـمى بشـموع الخضـر (عليه السـلام) ، والاسـتخدام الشـعبية المرتبطة بالموروث الديني الشـعبي العراقي .وكذلك نجد اسـم الجلالة في النصـوص يتردد كثيرا في قول انعام كجه جي((كبف اعمل في نثل هذا مكان ..هل تقبل الاطفال يعيشـون في مثل هذا المكان يواش يواش .. اسـم الله نجد قمرٌ في السـماء دنا))[١٧]نرى عبارة قمراً من السـماء دنا وتدنى لها تقارب مع الآية الكريمة ((ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى [١٨]))

ونجد الطقوس الدينية بوصـفها جزء من التراث الشـعبي ومكون أسـاسـي من مكونات الذاكرة الجمعية، ومنها الطقوس الدينية لمكونات المجتمع العراقي وأعيادهم، وزيارة الأضـرحة والأولياء الصـالحين، والعطايا والنذور، ونظرتنا الى المقابر، ننتقل في الصـفحات القادمة الى مكون مهم من مكونات الذاكرة الدينية وهو الحجاب وأثره في تكوين المخيلة الجمعية وعلاقة تلك المخيلة في رسـم صـورة الجسـد، عندما يكون الجسـد علامة بعلاقة رمزية محملة بدوافع لا شـعورية تتكون رمزيتها من نتاج اجتماعي متراكم للعلاقة بالآخر، لتعين الآخر عبر الوجود الجسـدي العياني وخطابه المتأسـس من تقيدات موضـوعية وتأريخية بنتها الاختلافات البيولوجية بما فيها الجنسـية والبنى الغيبية التأريخية للعائلة البشـرية، وكأن هذه العلامة بامتدادها السـيميائي قد اكتشـفت للتو كما اسـتدعى سـياق النص الذي انصـهر في دلالته الكلية فالنص يطفح في مجموعة من النصوص الادبية الدينة التاريخية التي وظفتها الكاتبة والأمر الذي جعل هذا التلاعب في سياق النص .

المبحث الثاني: تذكر مع الشخصيات في روايات سواقي القلوب وطشاري والحفيدة الامريكية

ويرتبط في هذه الحالة من الامتداد وجهي الاستمرارية الثقافية: النص الثقافي ونظام التشفير، الا أنه يدخل ضـمن عمل الذاكرة التي تسـعى إلى إعادة نظام سـيميائي ينتمي إلى أوليات الثقافة الخاصـة بالفضـاء الداخلي حيث يخضـع بناء النصـوص وأنظمتها لقانون عام لتطور الأنظمة السـيميوطيقية يمكن على أسـاسـه إدماج علامة معينة أو رسـالة بأكملها أو جزء من رسـالة(في نص من نظام آخر من العلامات باعتبارها جزءاً مكوناً له؛ ويمكن، بالتالي، أن يظل هذا الجزء

بكامل طاقته الأصلية)مع تغيّر في الوظيفة التي تصبح وظيفة جمالية بعد أن كانت أسطورية أو شعائرية)[١٩].

إن القاعدة السيميائية الأولى في عملية التسجيل الآني التي تمكّن من تحويل الخبرات والمعارف البشرية إلى عناصر ثقافية تكمن في وجود نظام سيميائي في ذات الثقافة قادر على إداء عملية التحويل هذه، فتتضمن كل ثقافة نظام من طائفة من القواعد لترجمة الخبرة المباشرة إلى نص ولكي يوضع أي حدث تاريخي في صنفه النوعي فإنه ينبغي أن يُعترف به قبل كل شيء كوجود حي، وينبغي أن يفصح عنه ماهيته عنصر متميز في اللغة، وهذا العنصر اللغوي هو الذي يحيله إلى الذاكرة ها هنا يكون تقويم ذلك الحدث حسب كل الروابط المتسلسلة لتلك اللغة؛ وهذا يعني أن الحدث التاريخي سيسجل، أي أنه سيكون عنصراً في نص الذاكرة، عنصراً ثقافياً[٢٠] فالدخول إلى مجال الثقافة يتوقف على أهمية العنصر الثقافي وترجمته إلى لغة تعاصر الذوات الأحداث، ويطلق على كتابة الذات لحدث ما معاصرًا لها بالتاريخ الآني، الذي يتكون خطه من القرب الزمني لعملية الكتابة من الموضوع المتطرق إليه [٢١]، هذا في ميدان البحث التاريخي، أما ما نقصده بالمصطلح، فهو وقوع حدث يعاصره. ونجد في قول انعام كجه جي:

الان اذكرك الصدى الواهي معلمةً رؤوم لم تلق مني غير ما تلقى الحدائقُ من بنيها ذاكراً كما يتنفس الطلع الكتوم.. [٢٢]

الكاتبة تسجله بحسب الطريقة الخاصة بفنها وتضعه في نصها(اذكرك الصدى الواهي معلمةً رؤوم) ، معلمة عطفت عليه ولا تعرف للقسوة معنى أي هو شاهد عليه أو عاكس للحدث الذي وقع، ولذا يكون التاريخ جزءاً من الواقع الثقافي الخاص بجماعة ثقافية وأحداثه يعيشه أفرادها بلحظته أو تبعاته، إذ ليس مرور هذا النوع من الحدث بالمرور العادي؛ لأنّه حدث معيش، وبالتالي، أن هذا الحدث تتسرب مؤثراته إلى حسب الكاتبة ، وهي بدورها تقوم بتسجيلها أو تمثيلها في نتاجها اذ نجد النص متداولا بين أيدي قراء يومذاك، ليكون هذا العمل أجروميته التي تقوده إلى ينابيع الشعرية التي تحلم بها لصغيرها النابه. ولم يكن حدسها يخطئ النظر فيما فطر عليه وحيدها من رهافة الحس ورقة المزاج وشدة الفطنة وسرعة الانفعال والولع المفرط بالرسوم والخربشات التي ازدحمت بها كراريسه المدرسية وكتبه، مما أثار رؤوم المعلمة. وعلى هذا المنوال البسيط انطلقت بنا مسيرة الحياة والدراسة التي حضرت تفاصيله تفاصيلها اليوم في الذاكرة إلا. مفاصل مهمة علقت شاخصة في سجل الذكرى، حتى أكملنا الدراسة الابتدائية[٢٣]

ذلك أنه جزء من جدل التاريخ وبنيته إذ اســـتذكر واقعة تاريخية تتعلق بالذاكرة ومحوها عينياً، وهي ما قامت به المعلمة الرؤوم من اشـــعلت لنصـــوص الذاكرة المودعة في خزين ذاكرته والقائها فيها ، وهذه هي الذكرى الأولى، ويمثّل النص ذكرى ثانية تقوم على الذكرى الأولى، حيث تعد الثانية امتداداً للأولى، (لم تلق مني غير ما تلقى الحدائقُ من بنيها ذاكراً كما يتنفس الطلع الكتوم)الذكرى الثانية ليسـت على الاطلاق تمثّلاً أو تصـوراً: إنها تمثّل من جديد ، فلم يشـر إلى كل تفاصيلها، وقد ركّزت على ذاتها واعطاءها، والحالة الزاهرة التي تعتور أيامه ولياليه، وجعل ما يحدث نتيجة لواقعة مضت، أي إن ما يحصل في الحاضر يعد امتداد اً لما سبق أن حصل. كما نجد في نص اخر اذ تقول : في رواية (طشـاري) إذ وردية داخل القصـر الرئاسـي الفرنسـي هذا المكان التاريخي الذي اكتمل بناءه عام ١٧٢٢ م، الذي زارته وردية وهي في عمر تجاوز الثمانين عاماً، لكن روحها في العراق، تتكون من أربع كلمات لايرد فيها ذكر إلا القصـــر الرئاســـي الفرنسي: هذا هو الأليزية إذن[٢٤]

(هل تذكرون معلماً يلف جزلانا) وفي الطرقات كالناس الدمى.. سلمانُ جئت الى ثوبي خاليا البارُ كابٍ، دونما حلس سواي ويداي ترتقيان حبلاً عاليا.. [٢٥]

ويتضمن الخطاب رمز المعلم قد تكون حقيقية أو أسطورية، هذه الرموز هي وحدات سيميوطيقية متغلغلة في مسـتويات الثقافة كلها وتؤدي دور الوسـيط بين لغات الثقافة المختلفة، وبذلك تحفظ الثقافة من التفســخ إلى طبقات زمنية منفصــلة[٢٦]، فهي تحقق للنصــوص الثقافية اتصــالات بالثقافات الأخرى، لذا نجد في الرواية تلك الرموز، إذ تتخذها الكاتبة كرمز المعلم العلم والمعرفة ويجعله بمثابة الاب الروحي اذ بحسـب السـياقات التي يريدها. وفي موضـع اخر يتذكر موقف نجد الروائية اذ إن الحس المشترك من حيث هو (حكم بغير تفكير يشترك فيه أفرا د طبقة كاملة أو شـعب بأسـره أو أمة أو الجنس البشـري كله) [٢٧]، يلعب دورًا عظيماً في إنتاج الممارسـات التمثيلية وتوجهها نحو ما يهم المجموعة الاجتماعية، فتتجلى قيمة الأحداث والوقائع، وتتخذ الروائية كل من بطء الحركة والتمهل رويدا بوصفها آليات لعمل الذاكرة الشخصيات الثقافية أكثر من مظهر منها الحركة النصـــوص القديمة، ففي مجال النص نتاجاً لحركات الحداثة الشـــعرية فيهما المدعومة إيديولوجياً بالمذاهب والحركات الفنية، وفي الواقع، إن اختلاف الحركات الفنية هو اختلاف نصوص؛ لأنّ لكل حركة قواعدها وأساليبها الخاصة بإنتاج النصوص، ولذا تتعارض نصوص حركة فنية مع نصوص حركة فنية أخرى، وعندما تبزغ حركة جديدة، فإنها تتعارض مع نصـــوص الحركة الفنية الســـابقة عليها أو المزامنة معها، فكل حركة فنية جديدة تبطل ســـلطان

النصـوص التي اعتدت بها عهود سـبقت ،ويتم ذلك بنقل تلك النصـوص إلى صـنف اللامدون، اللانص، أي إلى نصوص من منزلة مختلفة[٢٨] التاريخية عند كل جماعة بحسب موقعها وطرفها في الصـراع، باعتباره حدثاً يهمها ويخص كينونتها. وكما يبدو انه شـديد الوحدة وشـديد الانعزال، متأمل يجد في الفوضـى وقاحة تحتاج الى ازاحة وابعاد[٢٩]ذكريات مهمة الحياة الشـخصـيات وما استعملتها من أسلوب (السيرة الذاتية لكل شخصية وكان لكل شخصية دور بارز في بروز بعض الأحداث تاريخية أو الامكنة التاريخية في آن واحد. وتحد مشـــهد تاريخي في رواية الحفيدة الأمريكية نوع من زمن متقطع يتراوح بين الحاضـر والماضـي الذكريات الشـخصـية)، فحين تتجه (زينة) من بغداد نحو تكريت تبدأ بوصـف الأمكنة لكن في لحظة وصـولها إلى (سـامراء تسـتيقظ في داخلها الذكريات من حبها الشـديد لهذا المكان التاريخي من تاريخها الخاص بماء التي تحاول إيصـــالها لمن معها، لكن دون جدوى، تقول وقد رأيت ونحن نغير جانبا من بغداد، حطاما لم أر مثله من قبل بلى، إن هذه المباني المحترقة المتداعية التي تصـفر فيها الريح تشـبه الرماد الذي هطل على نيويورك بعد ذلك الحادي عشـــر الأليم من ســبتمبر، ألم يقابل ألما وخراب يقود إلى خراب، هذا ما كنت أتصـــوره وأنا في تلك المرحلة المبكرة من ســاذجتي. وهنا دارت كامرة رؤية زينة دورة كبيرة وتقول: هل هذه ســامراء، خرجت صــرحة عفوية مني حســين لاحت في الأفق المتقدمة الملوية، تذكرت تاريخي الخاص في. في هذا المكان (....) ولقائف البيض والعنبة المغلقة بورق الألمنيوم، ألهذا الســبب ظلت تلك الأيام في ذاكرتي؟ (...) لقد ارتقيت كل تلك الأدراج وأنا دون العاشـرة... ارتقينها حتى القمة))[٣٠] ، ونجد إن الشـخصـيات ترتبط مع المكان ليشكل حافزا لتداعي الذكريات، حيث تتداعى الصفات المشتركة أو المتناقضة على نحو كلي أو جزئي وهناك ثلاثة عوامل تنظم عملية التداعي هذه وهي: الذاكرة الشـخصـيات مرتبطة بالأماكن التي هي أساسه، والحواس التي تقوده، والخيال الذي يحدد طواعيته.

أن عملية الإبداع الفني ليست عملية مفاجئة عند الروائية، إنما لها إرهاصاتها التي تجعلها مستعداً لها نفســـياً وذهنياً بطريقة واعية أو غير واعية، بعامة تجتذب إلى ذاكرتها كل ما شـــاهدته أو سـمعته طيلة حياتها وتحتفظ به في ذاكرتها، فالكاتب كما يقول رسـكن Ruskin لا ينسـى حتى أبسـط الكلمات التي تسـمعها في بدايات حياتها، ووسـط هذا الخضـم المختزن في ذاكرتها تؤلف الخيال البارع مجموعة من الآراء والصور المتناسقة تناسقا دقيقا؛ فالخيال ليس مرآة جامدة تعكس أفكاراً وصـوراً ساعة الإشراق فحسب، بل هو أداة حية من طبيعته التحليل والبعث وخلق الصـور الجديدة التي يكون لها رواسب قديمة[٣١]

ان أهمية الذاكرة في عملية الإبداع الفني تكمن في أنها تصـــل لحظات الذاكرة الشـــعر والإبداع الحاضرة بالصور والتجارب السابقة لإنعام كجه جي التي هيئ لـــها أنـــه قـــد طويت بعضها النسـيان، ولكنها عادت لتظهر بصـورة جديدة بعد أن أيقظتها من سـباتها تجارب وصـور جديدة مماثلة لها، فالكاتبة على اتصـــال دائم مع خبراتها وتجاربها الماضـــية، وقدرتها على تخيلها تنبع من قدرته على تذكرها؛ ولذلك فإن عملية تسمى. الوصل للانطباع الراهن بالانطباعات الماضية يمكن الكاتبة، في اللحظة، من أن يخلق تأليفاً عبر الزمن، قوامه أنغام إن هي إلا انطباعات متماثلة تلقاتها الكاتبة في أوقات متباينة، ووصل بينها في تشبيه يحتويها جميعاً متعاصرة[٣٢] لتهدف الى ان يكون ما تشكله من صور نسخا أو نقلاً لعالم الواقع ومعطياته، أو انعكاساً حرفيا لأنساقه المتعارف عليها او نوعاً من انواع الفرار والتطهير.

الخاتمة

إن الروائية انعام كجه جي تتميّز بقدرتها الفائقة على استدعاء انطباعات وتجارب خبرتها بنفسها ولا يمكن له أن تنساها، بل انها تستوحيها مرة تلو الأخرى كأنه تعيشها مجدداً في كل مرة، وعمل المخيلة يرتبط ارتباطاً أســاســياً ومباشــراً بخبراتها وتجاربها، ولا يمكن له أن تتخيل ما لم يخبرها بنفسها، واختزنها في ذاكرتها.

وهكذا فإنها لا يمكن أن نتصـــور الموقف دون أن يكون لها مثل هذه الذاكرة المرهفة أو ما يمكن تسميته بـــــ الذاكرة النقدية التي يكمن فيها سر الإبداع الروائي[٣٣].وهنا يمكن أن تصور الكاتبة طفولتها ومشاهد ذاتية مرت به لتعيد صياغتها بومضات من الذات متمثلا قشرا زلقت به تأتي من عمق المشاعر ، بيد ان ثمة فاصلا ليخلخل مسار التجربة الذي جسدتها بفعل اختيالا.

ان التذكر التلقائي أو تداعي المعاني، فإنه يتم عن طريق ثلاثة قوانين أســاســـية وهي: التجاور والتشابه، والتضـاد، فإذا ما خطرت للشـاعر فكرة أو صـورة ما ارتبطت هذه الفكرة أو الصـورة بما يماثلها مجاورة أو تشـابها أو ضـداً، فيما هو مختزن بذاكرتها من واقع قراءاتها المتعددة، ويحدث هذا عفويا دون قصـــد من الكاتبة، بعكس النوع الآخر من التذكر التي تقصـــد فيه الكاتبة إلى البحث في زوايا ذاكرتها عن فكرة أو صورة معينة، وهذا التذكر المتعمد يعتمد على قانونين قانون التردد Frequency، ويعني أن الصـور أو المعاني التي تتكرر ورودها في الذهن تكون أسـهل اسـتدعاء من غيرها، وقانون الحداثة Primacy ويعني أن الصـور أو الأفكار التي تصـل حديثاً إلى الإدراك أو التفكير تكون أسرع قابلية للاستدعاء من غيرها [٣٤].

الهوامش

[١] ينظر: اثر في التراث في الشعر العراقي الحديث علي حداد :٨٣.

[٢])ينظر: علم العلامات)السيميوطيقا(مدخل استهلالي، فريال جبوري غزول، ضمن كتاب: مدخل إلى السيميوطيقا، سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، دار –التنوير، مصر، لبنان، تونس، ط ١ ، ٢٠١٤ : ٤٨.

[٣])(فلسفة التاريخ عند فيكو، عطيات أبو السعود، منشأة المعارف، مصر، ١٩٩٧ : ١٢٢ .

[٤])(ينظر: السيميائية وفلسفة اللغة امبرتو إيكو، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٥ : ٢٧٥

[٥])الماركسية وفلسفة اللغة، ميخائيل باختين، تر: محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١ ، ١٩٨٦ : ٣٠

[٦]) (ينظر: الثقافة والشعرية الثقافية، ستيفن جرينبلات: تر: معتز سلامة، فصول، المجلد) ٢٥ / ٣ (، العدد) ٩٩ ،) ٢٠١٧ : ٣١٦ .

[٧])(ينظر: السيميائيات الثقافية مفاهيمها وآليات اشتغالها، عبد الله بريمي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط – ١ ، ٢٠١٨ : ١٣٧

[٨])ينظر: الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ٢ ، ٢٠٠٠ : ٥٢٠

[٩])الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ٢٥

[١٠]) ينظر:ثنائية الريف والمدينة في شعر حسب الشيخ جعفر :٩٢.

[١١] طشاري: أنعام كجه جي، دار الجديد، بيروت، ط٢، ٢٠١٤: ٨١.

م. ن: ٨١–٨٢.

ظ: م. ن: ١٠٠.

[١٢]– طشاري::٨١– ٨٢.

[١٣] –م ن ١٠٠.

[١٤] سواقي القلوب :٤٥

[١٥] سواقي القلوب :١٢٣.

[١٦]_ طشاري /١٠٧

[١٧] م/ن:١٠٧.

[١٨] – سورة النجم : آية (٨ و ٩)

[١٩])ينظر:نظريات حول الدراسة السيميوطيقية للثقافات مطبقة على النصوص السلافية، ضمن كتاب: مدخل إلى السيميوطيقا: – ٣٦١ .

[٢٠])(حول الآلية السيميوطيقية للثقافة، ضمن كتاب: مدخل إلى السيميوطيقا: ٣٣٥ .

[٢١])ينظر: التاريخ الآني، جان لاكوتور، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، إشراف: جاك لوغوف، تر: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٧ : ٣٦.

[٢٢]) الحفيدة الامريكية: ١٨٩.

[٢٣])محطات في رحلة طائر الجنوب: د. صاحب جعفر أبو جناح.، مجلة ضفاف .العدد ٤٨،مايس –مايو :٢٠٢٢،: ٣.

[٢٤]

[٢٥]) طشاري :١٧٢.

[٢٦])ينظر: حول الآلية السيميوطيقية للثقافة، ضمن كتاب: مدخل إلى السيميوطيقا: ٣٣

[٢٧]) فلسفة التاريخ عند فيكو: ٥٠

[٢٨])ينظر: الذاكرة والتاريخ والنسيان: ١٣٨

[٢٩]) ينظر نخلة الله . .ثمار القصائد يانعة :شوقي كريم :١٧.

[٣٠] الحفيدة الامريكية :٤٨.

[٣١]) دراسات في الابداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الادبي والنقد الحديث :د.جهاد شاهر المجالي:٨٥.

[٣٢]) ينظر: دراسات في الابداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الادبي والنقد الحديث:٩٠.

[٣٣])ينظر: دراسات في الابداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الادبي والنقد الحديث:٨٤.

[٣٤])ينظر: دراسات في الابداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الادبي والنقد الحديث:٨٧.

المصادر والمراجع

الروايات :

١- سواقي القلوب: أنعام كجه جي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ٢٠٠٥.

١. طشاري: أنعام كجه جي، دار الجديد، بيروت، ط٢، ٢٠١٤

٢- رواية الحفيدة الأمريكية أنعام كجه جي ، دار الجديد ، ط٢ ، ٢٠٠٩م.

٢. ينظر: دراســات في الابداع الفني في الشــعر رؤى النقاد العرب في ضــوء علم النفس الادبي والنقد الحديث:٨٧.

٣. شاعر يستحق الحب :علي حسين :عراقيون العدد١٤٠٤،ايلول ٢٠٠٩، ١٥.

٤. ينظر: علم العلامات)السيميوطيقا(مدخل استهلالي، فريال جبوري غزول، ضمن كتاب: مدخل إلى السيميوطيقا، سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، دار –التنوير، مصر، لبنان، تونس، ط ١ ، ٢٠١٤ : ٤٨.

٥. فلسفة التاريخ عند فيكو، عطيات أبو السعود، منشأة المعارف، مصر، ١٩٩٧ : ١٢٢

٦. ينظر: السيميائية وفلسفة اللغة امبرتو إيكو، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٥ : ٢٧٥

٧. الماركسية وفلسفة اللغة، ميخائيل باختين، تر: محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١ ، ١٩٨٦ : ٣٠

٨. ينظر: الثقافة والشعرية الثقافية، ستيفن جرينبلات: تر: معتز سلامة، فصول، المجلد) ٢٥ / ٣ (، العدد) ٩٩ ،) ٢٠١٧ : ٣١٦ .

٩. ينظر: السيميائيات الثقافية مفاهيمهما وآليات اشتغالها، عبد الله بريمي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط – ١، ٢٠١٨: ١٣٧

١٠. ينظر: الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٠

١١. دراسات في الابداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الادبي والنقد الحديث: ٩٠.

١٢. حسب الشيخ جعفر ثورة البدائي في القصيدة: ياسين النصير: عراقيون العدد ١٦٠٤، ايلول ٢٠٠٩، ١٢.

١٣. دراسات في الابداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الادبي والنقد الحديث: ٨٤.

١٤. ينظر: الذاكرة والتاريخ والنسيان: ١٣٨

١٥. ينظر نخلة الله . .ثمار القصائد يانعة :شوقي كريم :١٧.

١٦. الاعمال الشعرية:١٤٨.

١٧. حسب الشيخ جعفر شاعر المكان المنفي والازمنة المطمورة: شوقي بزغ، مجلة ضفاف العدد٤٨: –مايس –مايو ٢٠٢٢: ١٤.

١٨. حول الآلية السيميوطيقية للثقافة، ضمن كتاب: مدخل إلى السيميوطيقا: ٣٣

١٩. فلسفة التاريخ عند فيكو: ٥٠ الثقافة والشعرية الثقافية، ستيفن جرينبلات: تر: معتز سلامة، فصول، المجلد) ٢٥ / ٣ (، العدد) ٩٩، ٢٠١٧: ٣١٦.

٢٠. ينظر: السيميائيات الثقافية مفاهيمهما وآليات اشتغالها، عبد الله بريمي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط – ١، ٢٠١٨: ١٣٧

٢١. التاريخ الآني، جان لاكوتور، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، إشراف: جاك لوغوف، تر: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧:

٢٢. محطات في رحلة طائر الجنوب: د. صاحب جعفر أبو جناح.، مجلة ضفاف. العدد ٤٨،مايس – مايو :٢٠٢٢،: ٣.